

## زوجة فوطيفار من كتابات الراحل القس إلياس مقار



**الزوجة وسر التجربة:** تجربة هذه المرأة اشترك فيها ثلاثة، يوسف وفوطيفار والمرأة نفسها. لعل التجربة بدأت من اللحظة التي دخل فيها يوسف هذا البيت، فهو أروع صورة من الحسن والجمال، فتى في السابعة عشرة من عمره، حلو الحياة وخفيف الظل، مفكر، عاقل، وديع، متواضع.... المرأة كانت ترقب هذا الجمال... مصيدة الجمال ما تزال إلى اليوم في كل جيل وعصر من أخطر وأقسى المصايد.

الثانى الذى شارك فى التجربة هو فوطيفار نفسه، أغلب الظن أنه وثق فى يوسف ووجد فيه الوكيل الأمين الصالح فى الحقل أو البيت معاً، انصرف إلى عمله فى بيت فرعون واستغرقه العمل حتى لم يجد متسعاً من الوقت فى بيته... المرأة نفسها كانت أكثر الكل تقترب من التجربة أو تسعى إليها، بيتها واحداً من البيوت الغنية والذى اتسعت ثروته على يدى ذلك العبد الجديد الذى اشتراه فوطيفار. وأصيب البيت بما يمكن أن تصاب به بيوت الأغنياء من ترف وتعم وما يمكن أن يلحقهما من أذناس وخطايا وعيوب ومحن... فكلما ازداد الناس من الثراء والترف والتمتع كلما اقتربوا أكثر من الخواء الروحى والضياع النفسى. ولعلنا ندرك لماذا سقطت زوجة فوطيفار فى مثل هذه التجربة الشريرة التعسة المحزنة.

**الزوجة وقسوة التجربة:** إننا لا نعلم عمر المرأة فى ذلك الوقت إلا إننا نعلم أن يوسف كان فى عنفوان القوة والحيوية والشباب... ظروف الحياة وطبيعة العمل تقترب على الدوام بين الشعلة والبارود كما فى قصة

يوسف، اللقاء اليومي المتكرر والتعامل الدائم المستمر والاقتراب المتكاثر واللمس والرؤية والنظر والحديث والكلام هي بعض أسلحة الشيطان في الاثارة والغواية والاسقاط... الخطية دائماً قتلاها أقوىاء...

التجربة كانت شديدة على يوسف إذ كان عبداً مملوكاً لسيدته يؤمر فيطيع ويطلب فيخضع وكان في تصور المرأة أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء وتنال منه ما تريد ... أما يوسف فقد قست التجربة عليه وطال به الزمن عشر



سنوات من ذلك اليوم الذي استبدل فيه الحرية والعز والمجد وحضن أبيه، بما يعيش عليه في بيت فوطيفار من حياة ... فهي لا يمكن أن تعدو حياة العبد الغريب الضائع المشرد. التجربة جاءت في العزلة في الوحدة والظلام ولم تأت مرة واحدة بل أخذت طابع الإلحاح والتكرار يوماً بعد يوم كما تذكر القصة الكتابية. وكل هذه قد جعلها واحدة من أفسى المعارك النفسية التي يمكن أن تحدث في حياة المؤمنين أو غير المؤمنين على حد سواء.

**الموقف الفاصل في التجربة:** التجربة قد فصلت فصلاً حاسماً بين الشاب والمرأة... إن الفاصل كان مزدوجاً إذ كان فيه عنصر إلهي وآخر بشري.

أما **العنصر الإلهي** فقد ظهر في تلك الصيحة المدوية: "فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله".. لقد رأى يوسف - على عكس من المرأة - شخص الله فنجا من التجربة وانتصر عليها... وإن كان يوسف عبداً لفوطيفار أو زوجته وإن كان جسده قد اشترى بعشرين من الفضة إلا أن هذا الجسد ليس في الأصل ملكاً له أو لفوطيفار أو زوجة فوطيفار بل هو ملك لله، وليس له أن يتصرف فيه إلا وفقاً لمشيئة المالك... كانت هناك قداسة الله التي لا يمكن أن تلتقى بالشر أو ترضى عليه بل تتعارض معه وتتنافر تنافراً دائماً أبدياً... خطية الدنس كانت شيئاً يكاد يكون عادياً في الظلام الوثني القديم، إلا أن يوسف لم يرها شراً فحسب بل شراً عظيماً

يخطئ فيه إلى الله قبل أن يخطئ إلى الناس. إلى جانب حق الله وقداسته هناك عدالة الله بصفته الحاكم الأدبي الذي يحكم بين الناس جميعاً... ولا يمكن لأى إنسان أن يخرج على هذه العدالة دون أن يلاحقه قصاص الديان العادل المقتدر الحكيم... المرأة لم تر الله فرأت التجربة واندفعت فى طريقها كما يندفع الأحمق الأرعن المجنون.

**فى الجانب البشرى** اختلفت زوجة فوطيفار عن يوسف، فهى انتهزت السرية والعزلة والظلام وهى تعلم أنها أقرب الطرق وأيسرها الى السقوط والانحدار والضياع، أما هو فقد رأى فى الخروج والهروب والتباعد السبيل الحق الى الخلاص والنجاة والانتصار الكامل على ما قد يراوده من ضعف شخصى أو اغراء شيطانى.

**الزوجة والجزاء بعد التجربة:** الصورة الأولى كانت محزنة مفعجة قاسية... يرتفع الظلم إلى أعلى ويداس الحق والبر والشرف والقداسة تحت الأقدام، ومع أن بعض الشراح يعتقدون أن فوطيفار شك كثيراً فى رواية زوجته إلا أنه أثر أن يغطى الفضيحة والعار فيسجن العبد وهو يعلم أنه مظلوم ليبقى على سمعة زوجته ومركزها بين الناس.

إننا نعلم أن يد الله كانت هناك وأن قوته ونعمته وحكمته كانت تعمل طوال الوقت خلف الستار على أنها عندما أعطت الجزاء العادل لم تعطه خفياً بل كان علانية أمام الكل وخرج يوسف من السجن لا ليرد اعتباره وحرية وشرفه فحسب بل ليصبح العبد سيداً والمرؤوس رئيساً... ومع أن القصة لا تكشف عما فعل يوسف مع هذا البيت إلا أنها تعلن بكل وضوح عما قاله الجامعة: "إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالى عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما" كما تعلن أن الفضيحة التى يحاول الإنسان أن يسترها داخل البيت تذهب عبر الأجيال والتاريخ "لأنه ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف".